بقلم العلامة الدكتور محمد نزار الدقر

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تعذبوا صبيانكم بالغمز وعليكم بالقسط) رواه البخاري وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطاً فتحكه بماء ثم تسعطه إياه) رواه أحمد وأصحاب السنن .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عباس أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن خير ما تداويتم به السعوط) رواه الترمذي

وقد روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة (رضي الله عنه) وعندها صبي يسيل منخريه فقال : ما هذا ؟ فقالت : إن العذرة . فقال: ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها العذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطاً هندياً فتلحكه ثم يسعط به) فأمرت عائشة فصنعت به فبرئ .

وقد روى البخاري أن أم قيس بنت محصن الأسيدة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها قد أعلقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق؟ عليكن بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب) يريد الكست ..

وفي رواية أخرى للبخاري عن أم قيس بنت محصن أنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم : " عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به من العذرة ويُلد به من ذات الجنب " .

وفي رواية أخرى للبخاري عن أم قيس بنت محصن أنها قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية : يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب).

قال ابن حجر في كتاب فتح الباري : والسعوط ما يجعل في الأنف مما يتداوي به وقوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(استعط) : أي استعمل السعوط ، وهو أن يستلقي على ظهره وجعل ما بين كتفيه يرفعهما لينحدر رأسه ويقطر في أنفه ماء أو دهناً فيه دواء (ينطبق بلعومة الخلفي)لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس . والعذرة (بضم العين) وجع في الحلق يهيج من الدم ، وتسميها العامة بنات الأذن .

وهذا التفسير يوافق في الطب أمراض الحلق التي تترافق باحتقان دموي سواء أكان التهاب لوزات أو التهاب لهاة أم التهاب بلعوم . وكان نساء المدينة وما يزال نساؤنا حتى اليوم يلجأن إلى معالجة العذرة بالأصابع أو غمز الحلق بها .

والإعلاق في اللغة أيضاً الدغر وتعني غمز العذرة بالأصابع .

وقد يلجأن إلى إدخال فتيل من خرقة في أنف المريض فيطعن به البلعوم الأنفي فينفجر من الدم . ويقال عذرت المرأة الصبي إذا غمزت أو أعلقت حلقه من العذرة .

ومن توجيهات النبي صلى الله[1] عليه وسلم في هذا المجال أن نبه إلى وجوب تجنب الخطأ في بعض المعالجات الشعبية والتي لا تستند إلى أساس علمي فنهى النساء عن مثل هذه المعالجة القاسية والمؤذية أحياناً مقدماً لهن العلاج الأمثل في هذه الحالة وهو القسط . قوله (ويلد من ذات الجنب) يعني يسقاه في أحد شقي فمه وهو تنبيه إلى طريقة لسقي المريض دواء عندما لا يتمكن من الجلوس أو من تناوله بيده أو عندما يثير ذلك ألماً شديداً لديه، واللدود ما يسقي الإنسان في أحد شقي الفم، أخذ من لديدي الوادي وهما جانباه واللدود (بضم اللام) الفعل . فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة والمشي) رواه الترمذي .

وروى زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ولقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة القسط مع الشب اليماني وزر الورد ، وسقوط اللهاة هو ضخامتها المتأتية عن التهابها .

وقال الموفق البغدادي[2] في كتابه الطب من الكتاب والسنة (وذات الجنب قسمان : حقيقي وهو ورم حاد يعرض في الغشاء المستبطن للأعضاء، وغير حقيقي وهو ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات، إلا أن الوجع في هذا القسم ممدود وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحقيقة ناخس).

وقال الدكتور عبد المعطي القلعجي [3]معلقاً : تنطبق هذه العلامات على التهاب الغشاء المبطن للرئة Pleurisy الذي يترافق بألم حاد شديد يتفاقم مع التنفس العميق أو السعال بالإضافة إلى سعال جاف وأرتفاع حرارة وإنهاك القوى العامة وقد يتجمع في الغشاء سوائل في بعض الحالات . ويرى الدكتور محمد ناظم النسيمي أن ذات الجنب الواردة في الأحاديث هي الألم الجنبي الناتج غالباً عن البرد أو الرثية (الروماتيزم).
وذكر الكحال ابن طرخان [4]طريقة المعالجة بالقسط للألم الجنبي فقال: يدق القسط ناعماً ويخلط بالزيت المسخن دون غلي أو قلي ويدلك به مكان الألم ويلعق .

أما ابن القيم [5]فقد أكد هذا المعنى بقوله : (والعلاج الموجود في الحديث عن آفة في المصدر تنجم عن ريح غليظة فإن القسط بالبحري إذا دق ناعماً وخلط بالزيت المسخن ودلك به مكان الريح المذكور أو لعق كان دواء موافقاً لذلك نافعاً له محلاً لمادته مذهباً لها ، مقوياً للأعضاء الباطنية).

قوله صلى الله عليه وسلم :(فإن فيه سبعة أشفية)قال البخاري : قال الراوي : فسمعت الزهري يقول : بين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمسة .وقال ابن حجر : كذا وقع الاختصار في الحديث عن السبعة على اثنين، فإما أن يكون ذكر السبعة فاختصره الراوي أو اقتصر على الاثنين لوجودها حينئذ دون غيرها.

وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطمث والبول ويقتل ديدان الأمعاء ويدفع السم وحمى الربع والورد ويسخن المعدة ويحرك شهوة الجماع ويذهب الكلف طلاء.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

قال الموفق البغدادي (وفي جمعه صلى الله عليه وسلم بين الحجامة والقسط سر لطيف وهو أنه إذا طلي به شرط الحجامة لم يتخلف في الجلد أثر المشاريط وهذا من غرائب الطب فإن هذه الآثار إذا نبتت في الجلد قد يتوهم من رآها أنها بهق أو برق والطباع تنفر من هذه الآثار فحيث علم ذلك مع الحجامة ما يؤمن من ذلك .

والقسط قد جعله النبي صلى الله عليه وسلم أمثل ما يتداوى به لكثرة منافعه، ينفع الفالج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحرك الباه وهو ترياق لسم الأفاعي ، واشتمامه على الزكام يذهبه ، ودهنه ينفع وجع الظهر).

قال ابن حجر : ويحتمل أن تكون السبعة أصول التداوي بها لأنها إما طلاءٌ أو شرابٌ أو تكميدٌ أو تقطيرٌ أو تبخيرٌ أو سعوطٌ أو لدود . فالطلاء يدخل ويجعل في عسل أو ماء وغيرها . وكذا التقطير والسعوط يسحق في زيت ويقطر في الأنف والدهن والتبخر واضح . وتحت كل واحدة من السبعة منافع لأدواء مختلفة ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم .

وخلاصة ما كتبه شراح الحديث [6]أن نبات القسط الموصوف في السنة ، نبات يعيش في الهند وخاصة في كشمير وفي الصين وتستعمل قشور جذوره التي قد تكون بيضاء أو سوداء، وكان التجار العرب يجلبونها إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر لذا سميت القسط البحري، كما كان يسمى بالقسط الهندي .

وقد يدعى الأبيض بالقسط البحري والأسود بالهندي كما ورد في السنة باسم العود الهندي كمترادفات، إلا أنه من غير شك غير العود الهندي الذي يتخذ في البخور وله نفس الاسم مع أنهما نباتان مختلفان .

وقال البخاري تحت باب السعوط بالقسط الهندي والبحري وهو الكست (بالقاف والكاف) مثل كافور وقافور وكشت وقشطت .

قال ابن القيم : القسط نوعان : أبيض يقال له البحري وأسود هو الهندي وهو أشدهما حرارة والأبيض أليهما ومنافعهما كثيرة : ينشفان البلغم قاطعان للزكام، وإذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة وقطعاً وجع الجنب ونفعاً من السموم وإذا طلي الوجه بمعجونه مع الماء والعسل قلع الكلف .

أما الدكتور أحمد الرشيدي (١) فقد ذكر أن للقسط Costus نحواً من ١٥ صنفاً وأن الأصلي منه هو القسط الجميل C.Speciosus ومأواه الهند ، ومن أنواعه القسط العربي C.Arabicus

وذكر أن ابن سينا نقل عن ديسقوريدس بأن القسط ثلاثة أنواع : صنف أبيض خفيف عطري هوالقسط العربي أو البحري ، وصنف أسود خفيف غليظ قليل العطرية هو الهندي، وصنف ثالث ثقيل يشبه خشب البقس، رائحته ساطعة هو القسط الشامي.

وينقل عن الدكتور ميره قوله أننا إذا جرينا على كلام المؤلفين نسبنا الجذر الذي يسمى عندنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآن بالقسط العربي للقسط الجميل وهو أبيض فطري مائي عذب الطعم يقرب قليلاً لرائحة الزنجبيل، وهذا يوافق أيضاً ما يسمى بالقسط الحلو C.Duleis.

مكانة القسط Costus في الطب الحديث:

ذكرت مجلة التايم (١) في صفحتها العلمية (١٩٩٩) أن القسط نبات ينمو بشكل عشوائي بدون زراعة في منطقة الهيمالايا الحاوية على قمة أفرست الأعلى ارتفاعاً في العالم .

ويعتبر القسط أهم ركائز الطب التيبتي التقليدي .

وقد كان الكهنة هناك لا يكشفون عن طبهم هذا إلا لأمثالهم ليبقى سراً بينهم إلى أن جاء زعيمهم الأخير دالاي لاما فأسس كلية الطب التيبتي لتعليم أي كان وذلك في منطقة Dharamsalaعلى الحدود الهندية للتيبت ليحافظ على ذلك الطب من الإندثار .

وبدأ الكهنة في التيبت ليحافظ على ذلك الطب على شكل خلطات مرقمة لشركة بادماPadma السويسرية ومنها الخلطة رقم ٢٨ لإذابة جلطة أوعية الساق وفيها خلاصات من نبات القسط، إذ ليس في جعبة الطب الحديث دواء ناجع لها سوى الطلب إلى المريض عدم تحريك ساقه لأسابيع حتى تذوب تلك السدادة ببطء وحتى لا تنطلق إلى الدوران الدموي فتحدث خثرة في مكان آخر.

ويذكر معجم أسماء النبات (١) أن القسط على شكلين :

قسط العود الهندي والقسط المر البحري من عائلة الزنجبيليات .

وله أنواع كثيرة عدد منها كتاب المرجع المفهرس لأصل السلالات النباتية :

القسط العربي :

ويستعمل في أوربا لأمراض الكبد.

والقسط المهدب :

المنتشر في فنزويلا لمعالجة مرض الزهري ،والقسط الأسطواني في أمريكا الوسطى المستعمل أيضاً لمعالجة بعض الأمراض التناسلية كما هو مطهر للدم . وقسط الزهاد في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البارغوري من أجل الإخصاب، والقسط الحريري في جزر كارولين في المحيط الهادي لمعالجة الدمامل والقشعريرات ، والقسط النوعي في أوربا وجزر هاواي والهند وجاوة والملايو من أجل علاج الثعلبة والإمساك الزمن والربو والتهاب القصبات وسرطان الفم والكوليرا والسعال والاستسقاء والزحار والحميات والرمال والجذام والتهاب العين وعضة الأفعى وغيرها .

والقسط الشوكي في الدومينيكان بأريكالدنسون طارد للريح ومدر للبول ولمعالجة الاحتقان والروماتيزم ..

والقسط اللولبي في البرازيل للأورام .

وقد ذكر المرشد إلى المصادر العالمية للنباتات النافعة [7]أن للقسط أنواعاً كثيرة، وأكد على المنافع الطبية لثلاثة أنواع :

القسط الجميل (Costus Speciosus)

وهوالمسمى أيضاً بالقسط العربي C.Arabicus وهو ينتشر تلقائياً في جنوب شرقي آسيا من جبال هيميالايا وحتى سيلان وفي الهند الصينية والفلبيين وتايوان . ويزرع في الهند وأندونوسيا وتؤكل سوقه الحاوية على ٢٤% من تركيبها على النشاء . ويستعمل علاجياً في آفات الصدر والسعال والربو .

القسط الأفريقي C .Afrri

ويسميه الأنكليز Ginger lilyو هو منتشر في أفريقيا الاستوائية تستخدم جذوره لتحضير عجينة لصنع الورق.أم طبياً فيستعمل مسحوق سوقه لمعالجة السعال. أما الصبغة المحضرة من جذوره فتدخل في عداد تركيبة دوائية لمعالجة داء النوم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

داء النوم .

وتطبق أوراقه المسلوقة موضعياً لمعالجة الرثية ، أما الجذور المسلوقة فتفيد موضعياً لشفاء التقرحات الجلدية .

القسط الموبر C.Villiosissimus

ومن أسمائه C.Spetimus وينتشر في كولومبيا وأمريكا الأستوائية وخاصة في البيرو وغويانا ويستعمل طبياً لعلاج النزلات الشعبية وخاصة المعوية منها وفي حمى التتفوس .

وفي كتاب النباتات النافعة في غرب أفريقيا أشار J.Daliziel فقط إلى القسط الأفريقي وأكد فائدته كدواء للسعال حيث يؤخذ مغلي سوقه أو مدقوق ثمراته أو تعلك سوقه طازجة وقد يستعمل مغلي جذوره لنفس الغرض . كما تطبق أوراقه المسلوقة كمادة محمرة لمعالجة الآلام الرثوية . ويشير إلى ما يعتقد سكان سيراليون وساحل الذهب وغيرهم حول القدسية لهذه المادة العلاجية عندهم .

ويذكر قاموس وبستر [8] Webster زيت القس Costus Oilوأن هذا الزيت أصفر فاتح اللون يستخرج من الجذور العطرية للقسط وهو عشب ينمو في كشمير (القريبة من التيبت)ويستعمل في حماية الفراء وصناعة العطور .

ويقسم كتاب أزهار العالم [9]القسطيات إلى ٤ فروع و٢٠٠ نوع وهي نباتات إستوائية وحيدة الفلقة تشابه عائلة الزنجبيليات ولكن ينقص أوراقها الرائحة العطرية لتلك العائلة .

والقسط هو الفرع الأكبر من القسطيات ويحوي مائة وخمسون نوعاً . أشهر أنواعه القسط الناري البرازيلي ذي الأزهار الصفراء البرتقالية على جذوع ورقية ، وهذه الأوراق مستطيلة ومستدفئة ومرتبة بشكل لولبي ، وتحتاج زراعتها لمناخ حار وتربة غنية وسقاية جيدة وحماية من التعرض المباشر لأشعة الشمس والقسط العجيب موجود من شرق أفريقيا إلى غربها حيث يشكل أحزمة من الورود ملتصقة بالتربة وبأوراق ثخينة تجلس في وسطها أزهار صفراء أو برتقالية لا ساق لها .

أما كتاب الأزهار للعالم (١) فقد أورد أن للقسط ١٥٠ نوعاً في كتاب كل المناطق الأستوائية من العالم، وتتميز عن بقية الزنجيليات بضخامة حوافها وبروز السدى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأهم أنواعها القسط العجيب وهو نبات الأماكن الصخرية الرعوية المغطاة بالأشجار المتناثرة ويمتد انتشاره من السنغال وعلى طول ساحل إفريقيا الغربي إلى شرق إفريقيا الأستوائية وأنغولا ويتألف من حزام وردي بأربعة ــ ٦ أوراق مستديرة وممتلة شيئاً ما .

غالباً ما تتلون بالأحمر الأرجواني، حوافها مشعرة وممتدة باسترخاء على التربة . وتظهر الأزهار بدون ساق بلون برتقالي ناصع من تاج الحزام الوردي وبزمن واحد مع الأوراق ثم يتبع ذلك ظهور الثمار ذات المحفظة الغشائية ، إلا أن أحزمة الورد في القسط العجيب تختلف عن بقية الأنواع .

ويرى الدكتور ظافر العطار أن القسط الجميل والقسط النوعي شيء واحد لأن الاسم اللاتيني لهما واحد .

وختاماً، وحيث لم نجد أبحاثاً حديثة تكشف أسرار هذه المادة العلاجية النبوية التي دعانا إلى التداوي بها من لا ينطق عن الهوى وأنها من أمثل الأدوية وتحدثنا عن جواهر فعالة مدروسة فيها فإننا نحث همم الباحثين من علمائنا وأطبائنا لدراسة هذه النبتة ومعرفة خواصها الدوائية واستطباباتها السريرة في مختلف الأمراض.

---

[1]عن كتاب الطب النبوي والعلم الحديث للدكتور نظمي النسيمي

[2]عن تحقيقه لكتاب : الطب من الكتاب والسنة لكاتب موفق البغدادي

[3]عن تحقيقه لكتاب البغدادي : المصدر السابق

[4]عن كتاب : الأحكام النبوية في الصناعة الطبية

[5]عن كتاب : الطب النبوي

[6]عن كتاب الدكتور النسيمي في كتاب : الطب النبوي والعلم الحديث

[7]صدر بالروسية في موسكو ألفه العالمان فول وماليفا ١٩٥٢

[8]القاموس الدول لـــ websterط٣ ١٩٨١

[9]لؤلفه فرنسيس بري perriانظر المراجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com